

مدح المضرة التجانية

وهل من لقاء الحب يغني التواضع
إذا هيّجت ما في القلوب الفظائع
حرارته مما حوتها الأضالع
حوادثه ما الجفن منهن هاجع¹
وللجسم حكم القلب إذ هوتابع
يصادم هولاً همّه القلب قاطع
ووجهه كئيب أصرّ اللون فاقع
يرى الرمز منها من دهنه الزعاع⁷
تُاجيك بالأحزان عنه الضواجع⁸
به العيش لما ساعدتني الصنائع
سقتة مزون وبئها متتابع
وريت وراء الستر تلك الودائع
فمنظره يغني وماؤه نافع
سوى الحرمين وهي عندي بلاقع¹¹
أشارت إليه بالمعالي الأصابع
نسيم شداها في المحافل ذائع
وعظم في شرع النوى¹³ من يصانع
قضى بفظام من قلتة¹⁵ المراضع
وجود لنسج أحكمته الصنائع
ولاند¹⁶ عمري في الصبا وهو ضائع
أنا لرضاه يا ابنة العم ضارع
ومن سره يعطيك ما أنت طامع
ففي كل قلب مخلص هو لامع
على الكون طراً¹⁸ دون خصم ينازع
أرتة علوماً قد حوتها الشرائع

الأهل يلد النوم والربع شاسع
وهل من ملام ينثر الجفن دره
وحرك حب القلب وجد تزايدت
وقد سل سيف البغي دهر وشمرت
وبادت رسوم القلب بالهجر والعنا²
ألا فلتدع لوم المتيم إنه
أما كان يكفي ذا النحول³ الذي سجا⁴
يرى فوقه للخطب رقم⁶ أشعة
فطورا أهيم في الفلاة وتارة
سأندب ربعا لأحبة من صفا
ومن كان مأوى الروح والجسم عندما
فعاوده شرخ⁹ الشباب وما عفا
حلاه وإن شط¹⁰ الربيع أزهـر
جميع قري الدنيا فداه وإن علت
فأله ما أشهى زمان وصالهم
ولله ما أحلى شمائل جمّة
لحا¹² الله دهرًا إذ قضى بفراقهم
فلولا وشاة في الأنام مجونها¹⁴
وما كان نأي الخد عني ولا بدا
ولا كان مني الإلتفات لغيرهم
لأنني قد أسلمت وجهي للذي
ومن حصنه للقاصدين وقاية
ومن هديته عم الأنام سناؤه¹⁷
أريد به ختم الرجال الذي سما
ومن خص من بين الأنام بشربة

لَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تِلْكَ الْوَقَائِعُ
 وَفِي الْقَلْبِ مِنَّا وَحَشَّةٌ¹⁹ وَقَوَاطِعُ
 وَلَا فَرَّ عَمَّا تَقْتَضِيهِ الطَّبَائِعُ
 وَمَنْ دُونَهَا لَوْلَاهُ مَا هُوَ مَا نَعُ
 لَهُ الْقَمْرَانِ وَالنُّجُومُ خَوَاضِعُ
 ذَوِي السَّبْقِ فِيهَا لِلْعِبَادِ مَنَافِعُ
 سَنَّا مَجْدَهُ فِي النَّاسِ أَبْيَضَ نَاصِعُ
 فَيَا حَبِّذَا نَهَجَ بِهِ الرُّوحَ سَاطِعُ
 وَذَوَالطَّعْنِ فِي نَهَجِ التَّجَانِي مُخَادِعُ
 فَرُحْمَاكَ قَدْ جَفَّتْ دُمُوعُ هَوَامِعِ²⁰
 وَإِنَّ مَكَاتَا قَدْ هَجَرْتَ لَخَاشِعُ
 وَحَارِبَ جَهْرًا هَأَنَّا الْيَوْمَ طَائِعُ
 أَطَاعَ الْفُؤَادُ مَا هَوْتَهُ الْمَسَامِعُ
 فَمَحْمَدَةٌ مِنْ بَعْضِ مَا أَنْتَ جَامِعُ
 قَدْ ارْتَفَعَتْ عَن وَجْهِ لَيْلَى الْبِرَاقِعِ²²
 بَدَا بَرْقُهُ فِي ذَلِكَ الْحَيِّ رَاقِعُ
 فَمَنْ يَعْفُ يُدْرِي مَا بِهِ اللَّهُ صَانِعُ
 وَمَنْ نَيْلِهِ ثَوْبُ النَّبِيِّ مَطَامِعُ
 وَصَفَحُهُ عَنِ أَهْلِ الْجَرَائِمِ وَأَقْعُ
 طَرِيقَتِكَ الْمَثَلِي فَلَا مَنْ يُنْزَاعُ
 لِأَنَّكَ فَيَضُ الْمُصْطَفَى أَنْتَ رَاضِعُ
 وَجَدُّكَ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلْكَلِّ شَافِعُ

وَأَسْرَارُ سِرِّ الْعَرْشِ وَاللَّوْحِ وَأُنْجَلَتْ
 فَلَوْلَاهُ جُودٌ مَا سَعَى الْفَوْزُ نَحُونَا
 وَلَوْلَاهُ مَا دَرَى الْعَلِيلُ شَفَاءَهُ
 لَهُ رُتْبَةٌ تُولِي الرَّجَالَ مَرَاتِبَا
 تَجَانِينَا سِرُّ الْإِلَهِ لِخَلْقِهِ
 أَبَانَ عَلُومًا فِي الْحَقِيقَةِ أُعْجَزَتْ
 هُوَ الْكَامِلُ الْمَشْهُورُ وَالغَوْتُ وَالَّذِي
 تَمُدُّهُ بِالْأَسْرَارِ رُوحُ مُحَمَّدِ
 وَإِيَّاكَ وَالْإِنْكَارَ فَهُوَ حَمَاقَةٌ
 إِمَامِي لَيْالِي الْوَصْلِ غَيْرَهَا الْبِلَا
 فَلَا الْعَيْشُ يُحَلُّو مَا نَأَيْتَ²¹ وَمَا عَسَى
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْمُسِيءَ الَّذِي اعْتَدَى
 فَمَا عَنِ قَلْبِي كَانَ الْبِعَادُ وَإِنَّمَا
 فَإِنْ تَمَتَّحُوا الْمَهْمُومَ قُرْبًا وَرَأْفَةً
 وَإِنْ تَعَفُّ عَنِ ظُلْمٍ بَدَامِنُهُ بَعْدَمَا
 فَلَا غُرُو²³ أَنْ الْعَفْوَ بِالْإِرْثِ مَلُكُكُمْ
 وَلَا سِيَمَا وَاللَّهُ قَالَ وَسَارِعُوا
 وَفِي ابْنِ أَبِي سَلْمَى سُلُو لَتَائِبِ
 وَعَفْوُ رَسُولِ اللَّهِ يَهْمُ²⁵ وَبَلُّهُ
 وَقَفْوُ سَبِيلِ الْمُصْطَفَى وَصِحَابِهِ
 لَذَلِكَ نَيْلُ الْفَضْلِ وَالْعَفْوِ حَاصِلُ
 شَفِيعِي وَدَادِي فِي هَوَاكَ بِلَا مِرَا

الهوامش:

- | | | |
|-------------------------|--|--|
| 1- نائمٌ ليلًا. | 9 - شَرُخُ الشَّبَابِ، هُوَ أَوْلُهُ وَنَضَارَتُهُ ج شُرُوحٌ | 17- العُلُوُّ والارتفاع |
| 2- خضعٌ وذَلٌّ | 10- أمعن فيه وزاد. | 18- ذَا رُؤَاءٍ وَجَمَالٍ |
| 3- هُزَالَةٌ | 11- الخالي من كل شيءٍ | 19- انقطاع |
| 4- غطاه | 12- لامه وعذله | 20- سائلة |
| 5- النَّاصِعُ الصَّافِي | 13- أمعن في البعد | 21- بعدت |
| 6- الداهية. | 14- قَلَّةٌ الْحَيَاءِ وَالسُّلُوكِ الْهَازِلِ | 22- غطاءٌ لِلوَجْهِ تَلْبِسُهُ الْمَرْأَةُ فَيَغْطِي وَجْهَهَا |
| 7- شدائد. | 15- رآه قليلاً. | 23- عجب |
| 8- لازمه لازمه | 16- المثلُ والتنظير | 25- يسيل |

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله
القسيمة العينية لمولاي عبد الحفيظ العلوي
ZTB